خطوات الطريقة العلميّة للبحث:

رغم اختلاف خطوات البحث العلمي من بحثٍ لآخر من حيث ترتيبها ووجُودها أحياناً، إلاّ أنه لا بدّ أن تتمّ على مراحل مُختصرها: مرحلة اختيار الموضُوع، مرحلة القراءة والبحث عن المصادر والمراجع، مرحلة تحديد السؤال والفرضيّات، مرحلة اختيار المنهج العلمي، مرحلة التحضير للبحث الميداني، مرحلة جمع المعلومات مرحلة تحليل المعلومات، مرحلة الكتابة والمناقشة.

وهناك ترتيب آخر يبدو أنه مقبُول إلى حد ما بالنّسبة لنا، وهو:

❶: مرحلة الإعداد للبحث، ويشمل ذلك: اختيار الموضُوع، وضع العنوان، وضع خطة أوّليّة للبحث الإعداد الأوّلي للمصادر والمراجع.

❷: مرحلة إعداد البحث، ويشمل ذلك: تحديد المشكلة وبيان أبعادها، وضع الفروض بهدف اختبارها، تحديد المادّة العلميّة اللاّزمة وجمعها، إعداد المادّة العلميّة وخزنها، تحليل المادّة العلميّة.

❸: مرحلة كتابة تقرير البحث، وتشمل كتابة: مقدّمات البحث، مقدّمة البحث، المادّة العلميّة النّتائج التوصيات، المستخلصات، الملحقات.

وهناك ترتيب آخر مُنظّم، يُلخّص تلك الخطوات كما يلي: اختيار موضُوع البحث، اختيار المصادر ذات الصّلة، القراءة الواعية المتأنّية، وضع الخطط اللاّزمة لتنفيذ البحث، تنفيذ التجارب اللاّزمة والقيام بالقياسات التي يتطلّبها البحث، تجهيز الوسائل المساعدة من جداول وشرائح ورسُومات توضيحيّة وإحصاء، تحليل المعلومات ومُناقشتها وتفسير النّتائج، كتابة البحث بالطريقة العلميّة السّليمة مع مراعاة التنسيق والوضُوح والدقّة، طبع البحث وتجليده.

وفيما يلي سنشرع في تعداد وفحص مضمُون تلك الخطوات الواحدة تلو الأخرى، تماماً كما هو آت:

❶◀**مرحلة اختيار الموضُوع:** وهي الخطوة الأولى في كلّ بحث، يختار فيها الباحث موضُوعاً يودُّ استكشاف نواحيه ودراسته.

وقد يكون اختيار الموضُوع نابعاً عن اهتمام ذاتي بموضُوع مُعيّن أو ملاحظة تغيير في المُجتمع، أو قد يحدث نتيجة لتوفّر معلومات جديدة.

كما قد يكون اختيار الموضُوع نتيجة الاتّصال بمورد إعلامي ذي منصب أو وظيفة تسمح بالحصُول على وثاق يصعُب استعمالها في إطار مُغاير. أو يكون قد أُثير بنباهة من طرف عالم مُمتاز أو مُحاضر. كما قد يحصل على وعيٍ من الباحث بالقصُور الذي يطبع عادة الدراسات التي تناولت الموضُوع، وقد يكون كذلك اقتراحاً لأستاذ (ولو أن هذا التوجّه يبدو غير مُستحسنٍ لأن الموضُوع المقترح قد لا يتوافق مع ميُول الطالب).

وقد يكون ذلك أيضاً نتيجة ملاحظةٍ يقوم بها الباحث أو المشرف من خلال قراءة ورقة علميّة، هذه الملاحظة تَصلُح لأن تكون نواةً لفكرة بحثيّة، وعليها يقوم الباحث ببناء أسئلته البحثيّة ينتهي البحث بالإجابة عليها. وأحياناً يبدأ البحث بسؤال يدور في خاطر الباحث، وخلال إجرائه للتجارب يُلاحظ الباحث بعض الأشياء ونتائج معيّنة تدفعه للتفكر في أسئلة بحثيّة أخرى حتى يتمّ بناء البحث كاملاً.

أو قد يظهر الموضُوع بسبب بروز أهمّية كبيرة لظواهر مُعيّنة، أو جدال حول مسألة مُعيّنة يُراد حسمه بالبحث العلمي، وقد يُطرح أثناء مناقشة علميّة أو حديث عام.

ومن المستحسن جداً أن يكون الموضُوع مُتأتّياً من مُبادرة ذاتية للباحث، مُنبثقاً عن فضُوله العلمي الخاص، ومن القراءة والاطلاع التي تُنشئ في عقل الباحث كثيراً من الأفكار والخواطر التي يمكن له استغلالها فيما يبحث ويختار من موضُوعات.

وحتى يكون اختيار الموضُوع موفّقاً وسليماً، فإن على الباحث أن يُراعي في ذلك توفّر الشّروط التالية:

- الحداثة والتفرّد وإثارة الاهتمام: فلا بدّ من اختيار موضُوع يميّز الباحث عن غيره ويُلفت نظر القرّاء والباحثين الآخرين (أي يكون موضُوعاً جديداً لم تتمّ دراستَه من قبل).
- أن يكون الموضُوع مُخصّصاً وليس عاماً بدرجة كبيرة.
- أن يكون في مجال التخصّص.
- أن يكون مُنطلقاً لدراسة علميّة أوسع (يختار منها جانباً يفتقر إلى دراسة مُستقلّة متعمّقة ويستنبط منها ما هو حريٌّ بالإضافة إلى البحوث العلميّة).
- أن تكون المشكلة المختارة جديدة في عنوانها ومضمُونها (أي موضُوعاً مُرتبطاً بمشاكل مُعاصرة وهامّة تتطلّب أبحاثاً جديدة مُكمّلة أو ضابطة)، تُضيف معرفة جديدة (أي يتخيّر ويحدّد ما له فائدة وقيمة علميّة أو نظريّة). وفي حال كان الموضُوع فيه مُعالجات سابقة، وأراد الباحث أن يخُوض فيه، فعليه أن يحدّد النقاط الجديدة المستهدفة بكلّ دقّة وموضُوعيّة.
- ألاّ يكون الموضُوع المختار واسعاً جداً (حتى لا يتحوّل الباحث إلى مُسجّل لأفكار ونتائج السّابقين)، ولا ضيّقا جداً. وألاّ يكون من الموضُوعات الخاملة.
- ألاّ يكون الموضُوع ممّا يشتدُّ الخلاف حوله، ولا موضُوعاً علمياً مُعقّداً أو غامضاً (فهذه الأخيرة تحتاج عادة إلى تقنية عالية للتنفيذ).
- أن تكون المراجع والبيانات المرتبطة به متوافرة بالكم المناسب، أي بالشّكل الذي يضمن استكمال البحث.
- أن يكون الباحث مُقتنعاً به ومدفوعاً إليه بإدراك واعٍ واقتناع شديد بقُدرته على بحثه (أي أن يكون مهيّئاً نفسياً لذلك، لأن ذلك سيُساعده مُستقبلاً على التعمّق والابتكار)، وبمواجهة الصّعوبات والعقبات التي سوف قد يجدها في مجال تجميع البيانات وتحليلها، مع الأخذ في

الاعتبار كذلك الجهد والوقت والتكلفة، والغرض المراد التوصّل إليه ومدى دقّة النّتائج المطلوب التوصّل إليها. وأن يكون ذلك مقروناً بمقدرة ذاتيّة للكتابة.

- أن يتّفق ورغبات وتخصّص الأستاذ المشرف. فعلى الباحث أن يختار المشرف الذي: يكون مُختصاً في الموضُوع، والذي يرتاح له ويستطيع التفاهم معه بسهولة، وأن يكون على علمٍ بأفكار المشرف حول موضُوع بحثه قبل أن يتمّ الاختيار حتى يكون هناك انسجام واضح فيما بينهما، ويُفضّل أن يكون الأستاذ ممّن يدرّسونه (وللإشارة فإن اختيار المشرف يُعدُّ أيضاً خطوة من خطوات الاعداد للبحث وهي تحدُث بالتزامن مع اختيار الموضُوع).

هذا، ونُشير إلى أنه في العادة تكون مواضيع البحوث فضفاضة، لذا على الباحث:

- أن يقوم بإدخال عُنصر النّسبية على الموضُوع بربطه بالزّمان والمكان وكذلك بالتيّارات الفكريّة السّائدة، ممّا يعني إدراك المستوى الذي يُشكّل فيه موضُوع البحث جزءًا من كل، مُنبثقاً عن حقل أوسع. لأن تمييز الموضُوع وتوضيحه يمكّن الباحث من دراسته بشكلٍ أعمق.

مثلا:

- مرحلة العمومية الكاملة: واقع السياسات المحاسبيّة في القطاع الصّناعي الجزائري.
- مرحلة العمومية المحدودة: واقع السياسات المحاسبيّة في القطاع الصّناعي الغذائي الجزائري.
- مرحلة العنوان المحدّد: واقع السياسات المحاسبيّة في القطاع الصّناعي الغذائي الجزائري في المنطقة الشّمالية.
- مرحلة العنوان النّهائي: واقع السياسات المحاسبية في القطاع الصّناعي الغذائي الجزائري في باتنة.

- كما ينبغي عليه أن يقوم بإجراء مسح شامل للبيانات والمعلومات، من جهات رسمية ودوريّات. ويجب أن تكون تلك البيانات أساساً لتفكيره وانتقائه لموضُوع بحثي.

- ومن الضّروري أن يجلس الباحث مع الأستاذ ويجري بينهما حوار عميق يُظهر فيها الباحث إمكاناته وقُدراته الفكريّة حتى يتسنّى للمُشرف توجيهه نحو النقاط التي يجب أن يستكمل فيها قُدراته ليتمّ اختيار موضُوع يتناسب وإمكانات الباحث واستعداداته.

- يجب أن يضع الباحث في اعتباره أن من يُراجع بحثه يجب أن يجد لديه ما يُشجّعه على الاهتمام به فهو يفعل ذلك في الغالب دون مُقابل، وغالبًا ما يُراجعه بامتعاض.

- كما يجب أن يضع الباحث في حسبانه أن يختار موضُوعاً يُقدّم فيه شيئًا ممّا يلي:

1. أن يتوصّل من خلاله إلى شيءٍ مُلفت للانتباه.
2. أن يجد به حلاً لمشكلة عمليّة هامّة للمُراجِع.
3. أن يتوصّل من خلاله إلى إجابة على أسئلة حيويّة يهتمّ بها.

4. أن يوضّح من خلاله للمُراجع أن عمله ذو قيمة، وسيُضيف جديداً.

هذا، وننوّه في الأخير، إلى ضرورة الاهتمام بهذه المرحلة بشكلٍ كبير، فتحديد موضُوع البحث أمرٌ تترتّب عليه نتائج كثيرة يصعُب الرّجوع فيها، ومن ذلك نوع الدراسة التي سيقوم بها الباحث وطبيعة المنهج الذي سيُتبع، وخطّة البحث، والأدوات البحثيّة....، والتي يتمّ بناءً عليها كتابة المذكّرة.

❷◀ **مرحلة صياغة العنوان:** قديماً قيل: "الكاتب من أجاد المطلع والمقطع".

فالعنوان هو مطلع البحث، وهو من أهمّ الأجزاء في كتابة البحث العلمي، لأن القارئ قد يكون بالتخصّص العام وليس الدّقيق، فيُصبح لزاماً عليك أن تجذب انتباهه وتوفّر لهُ عنوانًا مُمتعاً مُتميّزاً بعددٍ من الخصائص.

تتطلّب الصّياغة اللّفظية المناسبة لعنوان البحث اعتبارات عدّة أهمّها:

- <u>الإيجاز</u>: فلا يكون مُختصراً جداً لدرجة عدم وضُوح أبعاد الموضُوع، ولا طويلاً فضفاضاً يحتمل كل التفسيرات والتفصيلات (عمُوماً يكون العنوان في شكل عبارة لا تتجاوز سطراً واحداً، ولا يصحّ أن يكون جملة).

- لا تَستخدم عنواناً عاماً جداً مع عِلمك أنّك لن تُعالج إلاّ مسألة واحدة منه. وتجنّب استخدام بعض الكلمات المشهورة المستخدمة الآن مثل: النّانو وعلم العصبيات، وعلم البيانات، وعلم الحاسب.... ما لم تكن تتعلّق ببحثك. ولا يجب استخدام كلمات لا يعرفها سوى المتخصّص الدّقيق لأن القارئ غير المتخصّص لن تنتابه رغبة في قراءة موضُوعك.

- <u>الدقّة والوضُوح</u> (يندرج هذا في الجانب الشّكلي): يجب أن تكون الكلمات واضحة ودقيقة (اقتصاديّة أو محاسبيّة أو..... حسب التخصّص)، مُحدّدة وسهلةً للفهم (فكلُّ كلمة تُوضع فيه لها معنى في هيكل البحث)، وأن تكون موضُوعيّة، وأن تتّسم بقابلية القياس والحُكم عليها.

- <u>أن يدلّ على المحتوى</u>: فلا بدّ أن يعكس العنوان المختار مُحتوى الدراسة، وأن يكون مُعبّراً عن المشكلة تعبيراً كاملاً ومُحيطاً بها، وأن يجعلها أكثر وضُوحاً (يدخل هذا في الجانب الموضُوعي). وذلك مهمٌ لزيادة القرّاء وتسهيل عمليّة التفاعل مع الدراسة من قِبَل الباحثين الآخرين العاملين في نفس حقل الموضُوع.

- أن يعكس أهمّية المشكلة وضرورة بحثها سواء من النّاحية العلميّة أو التطبيقيّة.

- وأن يعكس كذلك المنهج الذي سيتمّ استخدامه (لبناء الإطار النّظري والجانب التطبيقي باستخدام الأدوات اللاّزمة لجمع البيانات وتحليلها).

- أن يكون مرناً ذا طابعٍ شمُولي بحيث لو استدعى الأمر التعرّض لتفريعاته واقسامه لا يُعتبر خروجاً عن الموضُوع. مثلاً لو اختار الباحث موضُوع "الاستثمار البنكي" ثمّ وجد صعُوبة في حصر الموضُوع فإن له أن يتناول مثلاً جزئيّة من جزئيّاته، مثلاً: "الاستثمار قصير الأجل". ذلك لأن الخروج عن مدار وحدُود البحث يعدُّ خطأً في المنهج وابتعاداً عن الموضُوعيّة.

على العمُوم، من الضّروري أن يأخذ الباحث بمشُورة الأساتذة الأكفاء لإبداء رأيهم ومُقترحاتهم حول العنوان ومُناقشة مدلُوله والتعرّف على أبعاده، ليزيد هذا من اطمئنان الباحث.

وكلُّ هذا يأتي بالاطّلاع ومراجعة أعمال السّابقين، وهي المرحلة التالية.

❸◀ مرحلة الاطّلاع الأوّلي على الأدبيّات:

بعد اختيار الموضُوع وصياغة العنوان يُصبح هذا الأخير الشّغل الشّاغل للطالب، فينكبُّ بسُرعة على الببليوغرافيا (الأوّلية والثّانوية) لرصد كلّ ما كتب عن الموضُوع، ويقوم بقراءات أوّلية حوله (أو ما يُسمّى بالقراءة التمهيديّة)، وخلال هذا الرّصد يتمُّ مُباشرة التنقيب عن منهج يقدّم البحث بسرعة.

ويتمُّ ذلك منهجياً على مراحل، فيقوم أوّلاً:

بتعيين **مصادر الإعلام**: فقبل الدخول في البحث الببليوغرافي، على الباحث أن يفتح لائحة يُقيّد فيها مصادر المعلومات بتسجيل عناوينها ومصادرها، ولائحةً للأشخاص الذين بإمكانهم المساعدة في توضيح صيغة الإشكاليّة. وهذه الموارد أو المصادر تشمل: الأشخاص، المجمُوعات، الجمعيات العلميّة، بنوك المعطيات، هيئات الدولة ومراكز التوثيق، المكتبات. فمعرفة هذه المصادر يجب أن تسبق تحديد وقراءة المقالات والكتب والتقارير.....

تأتي بعد ذلك، عمليّة **تكوين الببليوجرافيا العامّة والخاصّة**، وترتيبها حسب مواضيع كبرى مع الحفاظ على التسلسل الزّمني والمنشورات الأكثر حداثة.

والهدف من تشكيل الببليوجرافيا العامّة (كلُّ الوثائق والمراجع المتعلّقة سواء تمّ الاطّلاع عليها أم لا) والخاصّة (المتعلّقة بالموضُوع تحديداً)، هو حصُول المعرفة بكلّ ما قاله الآخرون حول نفس الموضُوع. وهي سند للأدوات النّقدية والحُجج التي يُقدّمها الباحث في بحثه.

☚ **ما معنى المنشورات العلميّة؟** هي المادّة العلميّة المتاحة لك أو ما هو معروف ومنشُور فيما يتعلّق بمشروعك البحثي.

بعد ذلك، تتمّ قراءة أو مراجعة هذه الوثائق (فتكوين الببليوجرافيا المقصُود منه قراءتها) وفرزها للاحتفاظ بما هو مهمٌ فيها، وهذه مُهمّة لازمة حتى ننتقل إلى قراءة ورصد المعلومات التي تحويها تلك الوثائق كمرحلة أهم.

☚ **مراجعة المنشورات العلميّة**: هي عمليّة التعرّف على الأبحاث المنشُورة عن الموضُوع الذي تهتمُّ به وتقييم هذه الأبحاث الخاصّة بهذه المشكلة، وتوثيق هذه الأعمال.

وكلُّ قراءة لمرجع يجب أن تتوّج بمسودّة (ورقة البحث النّقدية) تُظهر بوضُوح التمفصلات والاستدلالات والمناهج والنّتائج وكذلك الملاحظات النّقدية التي تحضر أثناء القراءة.

وبخصُوص عمليّة القراءة، ففي المرحلة الأولى، فإنه من الأفضل أن نكتفي بتصفّح المكتوب (العنوان اسم المؤلّف وتاريخ الصّدور، ثمّ نُقدّر حجم المؤلّف ووزنه) وقراءته بسُرعة أو الاطّلاع

على المحتويات حتى تحصل لدينا فكرة عن مضمُونه. وقد نذهب أبعد من ذلك بقراءة المقدّمة والخاتمة وبعض الصفحات التي قد تحتوي على استدلالات إضافيّة تحويها المقدّمة والخاتمة.
ثمّ تأتي المرحلة اللاّحقة، وهي **القراءة الكاملة** مع بعض التعليقات القصيرة التي نخطّها بالقلم هامشياً للإشارة إلى الإضافات الجديدة أو المواقف التي يجب مُناقشتها، وهكذا تتشكّل الورقة البحثيّة النّقدية (المسودّة).

فورقة البحث النّقدية إذن تتوزّع على شطرين: شطر وصفي يُلخّص بكلّ موضُوعيّة محتوى المقال أو المؤلّف، وهو يُحافظ على أهمّيته لمدّة طويلة. وشطر نقدي يُعبّر فيه القارئ عن مُستوى معلوماته وعن أحكامه الخاصّة، وهو يتغيّر باستمرار باكتشاف منشُورات جديدة ومعلومات مُختلفة.

☚ **أمثلة على مصادر البحث:** الأبحاث المنشُورة بالمجلاّت العلميّة، المراجع العلميّة، رسائل الماجستير والدكتوراه، قواعد البيانات الأكاديميّة، التقارير الإحصائيّة الحكوميّة أو التجاريّة، آراء المختصّين والخبراء، الموسُوعات المطبوعة (غير ويكيبيديا)، الإنترنت.

ولكن، كن على حذرٍ شديد عند استخدام الإنترنت كمصدر للمعلومات، للأسباب التالية:

O الإنترنت غير مُنظّم، فمن السّهل أن تُنشئ موقعًا إلكترونياً وتضع عليه أيّ معلومات غير موثّقة ولا قيمة لها.

O المادّة العلميّة من الإنترنت يُمكن أن تُساعدك على صياغة السّؤال البحثي، لكن من الصّعب جداً الوصُول إلى مصادر علميّة يُعتمد عليها لعمل بحث علمي جاد.

O الأولويّة دائماً للمصادر المطبوعة، إلاّ إذا كانت مجلّة علميّة مُتاحة على الإنترنت.

O الباحث العلمي لجوجل سيُساعدك في الحصُول على الأبحاث الأكاديميّة.

☚ **معايير اختيار هذه المصادر:**

- هل المصادر تتمتّع بمصداقيّة عالية أم لا؟.
- هل لها علاقة بالفرضيّة التي وضعتها؟.
- هل هي منشُورة عن طريق دار نشر حسنة السّمعة؟.
- هل تمّت مُراجعتها من قبل المتخصّصين في المجال؟.
- هل المؤلّف حسن السّمعة؟ (فقيمة المعلومات مبنية على مصدرها).
- هل المصدر حديث؟.